طرق وأساليب تعليم الرسول ﷺ وروائعه العلمية والبلاغية – حديث النخلة نموذجا

Prophetic Teaching Methods and its Merits - A Case Study in Ḥadīṯh Nakhala

د. محمد أيوب*

د. عبد المنعم أحمد**

Abstract

Seeking knowledge has firmly been declared as an obligation for every Muslim, because ignorance and illiteracy exterminate human values, eradicate natural qualities and wipe out all abilities and talents. The right solution of this problem is to seek knowledge anytime, anywhere and from anyone. So that the Holy Prophet (PBUH) urged his all companions and Muslim Umma to learn and seek knowledge, even that there is a famous saying: 'Seek knowledge from the cradle to the grave'. Prophet Muhammad (PBUH) himself spent his whole life to learn from Allah Almighty. The Prophet (PBUH) declared Himself as a teacher, also he showed proud for being a teacher, and told his companions first to learn and then to teach others. He considered it a great virtue and described many advantages of it in the world and hereafter.

There are so many standards and doctrines for good learning and earnest teaching which can be extracted from the life of Prophet Muhammad (PBUH) and applied to the current science of education. The following research intends to point out all fundamentals and basics of education from the life of the Prophet (PBUH); above all, the rhetoric, stylistics and embellished annotating notes on Prophetic sayings would be a complementary addition to its reader.

Keywords: *Sīrah; Teaching Methods; Ḥadīth; Rhetoric; Stylistics.*

كل من نسب نفسه إلى الإسلام وانتمى إليه، لزمه طلب العلم وتحصيله حسب ما قدّر الله له. ذلك بأنّ الجهل غير محمودٍ في كل مجتمعٍ وفي كل ملة في العالم كله، وليس للجهل من سبيل في الإسلام، حقيقةً أكدها النّبي ﷺ فقد أمر الصحابةَ بتحصيل العلم وأكّد ذلك لهم في كثير من المواطن ومنها قوله الكريم: إنّه فُرِض على كل مسلمٍ، كما نرى في حديثٍ رُوِي عن أنس بن مالكٍ عن النّبي ﷺ بسندٍ صحيحٍ، ولفظه: "طلب العلمِ فريضَةٌ على كُلّ مسلمٍ"[1]،[2].

---

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

** أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

والنّبي ﷺ نهض بنفسه للدعوة للعلم وكان يُذيع العلمَ وينشره في النّاس ومن ذلك قوله: "إنّما بُعِثتُ مُعلّماً"[3] .فثبت من هذا الحديث أنّ مهنةَ التعليم ووظيفةَ المعلم من أشرف المِهَن والوظائف وأخْيَرِها؛ لأنّ الله سبحانه اختار أشرف الخلائق ﷺ لهذه المهمّة، فهو قُدوة النّاس، والأسوة الحسنة، والمعلم الأول للأمّة.

فلذلك حثَ الصحابة على نيل هذه الفضيلة العالية لكي يصلوا إلى درجة المعلم – هو الذي فيه الخير كُلّه–كما رُوِي عنه في حديثٍ طويلٍ ولفظه: " وإنّ العَالمَ لَيَستغفِرُ له من في السّمَواتِ ومن في الأرضِ حتّى الحِيتانُ في الماء"[4].

وجاء في مسند الإمام أحمد عن ابن عباس في حديث حسن أنه كان أناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة.

وقد يدعوهم تارةً بترغيبهم في طلب العلم بتقديم متعلمي القرآن على غيره من غير المتعلمين حيث يقول لهم:"خيركم من تعلّم القُرآن وعلّمَهُ".[5] وفيه إشارةٌ إلى معلّمِ الخير، وهو في الحقيقة معلّمُ القرآن وعلومه، فيصبَحُ بهذا التعليم المعلّمُ هو القدوة والمثلُ الأعلى للنّاس.

وهدفه ﷺ الأعلى والأسمى من إرشاداته وترغيباته في أحايينٍ مختلفةٍ هو إبراز أهمية التعليم في مجتمع البشرية، وإبداء محاسنه وفضائله أمامَ النّاس كلهم.

فحياة الرسول ﷺ كلها تعليمٌ للآخرين قولا وفعلا وتقريرا لا فضولَ فيها ولا تقصيرَ، بل كلامه فصلٌ[6].

فعندما ننظر إلى أقواله – الأحاديث القوليّة– نجدها كلّها تعليماً للأمّة، والأجيالِ المقبلة، والشعبِ، والمجتمع، والبشرية أجمعها، وعلى سبيل المثال نذكر هنا حديثه ﷺ القولي المعروف: "بشِّروا ولا تُنفِّروا، ويَسِّروا ولا تُعسِّروا"[7]، ففي هذا الحديث تعليم للنّاس في كل جملة ولفظ، ففي الجملة الأولى أمر البشارة لمن آمن وأسلم بالجنة والنعيم المقيم، والنهى عن أن يتخذ الدعاة طريقا وعرا ينفرون به الناس عن الدين، وكذلك في الجملة التي بعدها أمر باليُسر والنهي عن العُسر.

ثُمّ ننظر إلى محاسنٍ بلاغيةٍ في الجملة الأولى "الطباق والمقابلة"، وكذلك في الثانية، وثم نرى جامعية كلمات الحديث، واختصار الألفاظ، وغزارة المعنى.

وكذلك نرى نفس الأمر في أفعاله أي في سنته العملية، وفي أمورِه الحياتية وشؤونِه اليومية وفي معاملاته كلها ﷺ كانت مبنيةٌ على التعليم وأمورِ التعليم[8].

فقول النّبي ﷺ كما فعله وتقريراته ﷺ كله يتسم حقيقةً بأساليب التعليم، فالفائدة التعليمية مقصودة وواضحة في كل ذلك؛ لأنّ النّبي ﷺ "لا يتكلّم إلّا فيما ينفع الناس ويبقى لهم منارة يستفيدون منها إلى يوم القيامة " [9] ولا يَصدُر عنه أمرٌ إلاّ هو مشيرٌ إلى نفعٍ وخيرٍ، ولا يُوئّد أمراً من الأمور أو يقره إلّا للفائدة العلميّة، أو العمَليّة التي تزيد الناس خيرا، أو تُقوّي فيهم فكراً وتبعث فيهم همة ونشاطاً.

طرقه وأساليبه ﷺ التعليميّة المختلفة

كان رسول الله ﷺ يختار في أساليب تعليمه أحسنَها وأجملَها ويُبادر إلى أفضلها وأقواها وقعا في النفوس وأقربها إلى العقول فهما، ومن طالع كتُبَ السّنةِ يجد أنّ لرسول الله ﷺ أساليب متنوّعَةً، ملوّنة بألوانٍ كثيرةٍ؛ فقد نراه ﷺ تارةً في موقف السائل، ومرّةً في موقف المجيب، وأحيانًا يُعلّم بطريق الكناية لا التصريح، وتارةً يُعلّم النّاس بطريق التشبيه والتصريح، وتارةً أُخرى يكون تعليمه بالإبهام والتلويح والتلميح.

ويمكننا أن نلخّص أساليبه ﷺ التعليميّة في التالي

أسلوب التهيئة والتمهيد، أسلوب ضرب الأمثال، أسلوب القصص، أسلوب المحاورة، أسلوب الاتصال الكلامي، أسلوب الاتصال النظري، أسلوب التطبيق العلمي، أسلوب التشويق، أسلوب الإيماءات، أسلوب الرّسم التوضيحي، أسلوب انبثاق التعليم من الأمثلة، أسلوب التكرار، أسلوب طرح الأسئلة، أسلوب التعليم من حيث الفهم والإشارة والتعريض- وما إلى ذلك من الأساليب التعليميّة النّبويّة.

بحثُنا هذا محدد ومقتصر على الحديث عن أساليب التعليم المستفادة من حديث النّخلة، حيث أنّ ذكر الأساليب المذكورة آنفا بالتفصيل أمر لا يُمكن في هذه العُجالة، ولا يسَعُها نطاقنا المحدود هذا فضربنا عنها كشحاً، وقصرنا بحثَنا عن حديث النّخلة كما سيرد في الأسطُرِ القادمةِ.

تخريج حديث النخلة

لأن حديث النخلة حديث معروف ومنقول بأسانيدٍ صحيحة مرضيةٍ عنها في كُتُبِ الحديث وأمهات مصادر الحديثية واعتنى به المحدثون، ورَوَوه في كتُبهم الحديثيّة الماتعة، ثمّ ما وجدناه فيه من الفوائدَ العلميّة المستفادة ومن الروائعَ التعليميّة الجادة، والإشارات البلاغيّة المقنعَة، لذلك اعتنينا به بحثاً ودِراسةً ووجهنا عِنانَ الدّراسةِ إليه لكشفِ المزيد من الحقائق حوله، فنبدأ أوّلاً بذكر الحديث ثمّ إيراد التخريج فيما يَلي :أخرج البخاري ومسلم عن عبدِاللهِ بنِ عُمرَ، أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : " إنّ منَ الشّجرِ شجرةً لا يسقُطُ ورقُها، وهى مَثَلُ المسلِمِ، حدِّثُونِي ما هِيَ؟ " فوقعَ النّاسُ فى شجرِ البادِيةِ، ووقع فى نفسِي أنّها النّخْلةُ، قال عبداللهِ: فاسْتَحْيَيْتُ، فقالوا: يارسولَ اللهِ! أَخْبِرْنا بها؟ فقال رسولُ الله ﷺ: "هي النَّخْلةُ" قال عبدُ اللهِ: فحَدَّثتُ أبى بما وقع في نفسِيْ، فقال: "لأَنْ تكونَ قلتَها أحبُّ إليَّ من أنْ يكونَ لِيْ كذا وكذا".[10]

وهذا الحديث رواه البخاري في أحد عشر موضعاً في (صحيحه)، حسب العادة؛ لأنّه لا يكاد يَشبع من استخراجِ المسائلِ، واستنباطِ الفوائد، والنزولِ إلى أعماق الحديث، والنقاط الدُّرَر منه، والخروجِ على قُرّائه بها، حتى يَذكُرَ الحديث الواحد أكثرَ من عشرين مرة.

وهنا نشيرُ إليها مع ذكر عناوين الأبواب التي رواها فيها، لأنّ تلك العناوين تُعدُّ بمثابةِ شرحٍ وجيزٍ لمعاني الحديث. رواه في أربعة مواضع من كتاب العِلم، في (باب قول المحدّث: حدّثَنا وأخبرنا وأنبأنا)،[11] وفي (باب طَرح الإمام المسألة على أصحابه ليَختبرَ ما عندهم من العلم)،[12] وفي (باب الفَهْم في العلم)،[13] وفي (باب

الحياء في العلم)[14]،وفي كتاب البيوع، في (باب بيع الجُمّارِ وأكْله)،[15] وفي كتاب التفسير، في (تفسير سورة إبراهيم)[16]، وفي موضعين من كتاب الأطعمة، في (باب أكْلِ الجُمّار)[17]، وفي (باب بركةِ النخلة)[18]، وفي ثلاثة مواضع من كتاب الأدب، في (باب ما لا يُسْتَحْي من الحقّ للتفقُّه في الدين)[19]، ورواه مرةً أخرى فيه بلفظ آخر، وفي (باب إكرام الكبير، ويبدأُ بالأكبر بالكلامِ والسُّؤال)[20]. ورواه مسلم في ((صحيحه)) من خمس طرق، في أواخر (كتاب صِفةِ القيامة والجنّةِ والنار)، قبلَ (كتاب الجنة وصِفَةِ نعيمها وأهلها) في باب مثلُ المؤمن مثل النّخلة"[21].

وقد جَمَعْنا في الرواية المذكورة هنا بين روايات البخاري ومسلم، لاستيفاء ما فيها من المعاني لهذا الحديث الكريم. "ورواه غيرُ البخاري ومسلم من أصحاب ((الكتب الستة))، والإمامُ أحمد في ((المسند))، وغيرُه من المحدِّثين. والحديث المذكور حديثٌ جليلُ القدر، غزيرُ العلم، كبيرُ الصلة بالتعليم وأسبابه[22].

التصوير البلاغي لحديث النّخلة

قد جمع في المثل المذكور في حديث شجرة النخلة وما يتعلق بها "من الثمار والجريد والليف، والساق ودوامِ الخضرةِ طوال العام، والإيواء إلى ظلها وقاية من الحر، وحلاوة الثمر، وبين المسلم وما يصدر عنه من الطاعات وعمل الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلاهما يُشبِه الآخر في دوام الانتفاع وعمومه"[23].

وضرب الأمثال يَجدر بشأنه أن يكون المشبه به فيه من أمورٍ حسيةٍ كما ههنا –وهو الشجرة– والمشبه هنا المسلم، حتى تُدرك بجميع الحواس[24].

والتشبيهُ التمثيلي في الحديث المذكور مقلوبًا، فكان المشبهُ هو النخلةُ، والمشبهُ به هو المسلمُ،

وكليهما – المشبه والمشبه به – من أمورٍ حسيةٍ، كما نشاهد مثله في حديثٍ آخرٍ وهو أنّه ﷺ يقول: (أَرَأَيْتم لو أنّ نهرًا بِبابِ أحدِكمْ يَغْتَسِلُ فيهِ كلَّ يومٍ خمْسًا، هل يَبْقَى من دَرَنِهِ شيءٌ؟ قالوا: لا يَبْقى منْ دَرَنِهِ شيءٌ. قال: " فذلِكَ مثلُ الصّلواتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا)[25].

فنجد هناك قلبًا وعكسًا في التّشْبيهِ حيثُ إنَّ الأصْلَ تَشْبيهُ المعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ مُبالِغةً؛ كقولِهِ تعالى:"قالوا إنّما البَيْعُ مِثْلُ الرِّبا" [26]والْجُمْلةُ مُبَيِّنَةٌ لِوجهِ الشّبهِ، وهو أنَّ الذُّنوبَ كالْوَسَخِ؛ لِأنّها تُوسِّخُ الظّاهِرَ والْباطِنَ، والصَّلاةُ تُزِيْلُ تلك الأوْساخَ والأقْذَارَ الحِسّيَّةَ والْمَعْنويَّةَ، كما أنّ النَّهرَ يُزِيلُ الأوْسَاخَ الْحِسيَّةَ"[27].

والتصور الفني في بلاغة الأسلوب البياني المستمد من ألوان الخيال في الحديث المذكور، ومنها: صورة التشبيه التمثيلي فقد شُبِّه الاغتسال خمس مرات؛ لإزالة الأوساخ الحسية والنفسية بأداء الصلوات الخمس، يمحو بها الذنوب، للتأكيد على تشريع الغسل والصلوات معاً، فهما مرتبطان بطاعة الله ومرضاته[28].

وتشبيه المسلم بالنخلة، لأن المسلم أبلغُ في صفاته المعنوية والخلقية من النخلة المحسوسة للتصريح بأن

المسلم أعزُّ عند الله وعند الناس، وأن النخلة مع أنها شبيهةٌ به في جميع منافعها إلا أن منافع المسلم أكثر منها؛ لاستكثاره من الخير والعمل الصالح والتمسك بالفضائل، والتحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن القبيح والصفات الذميمة، علاوة على تميّزه عن الخلائق بالعقل والتكليف.

وفيه إشارة إلى أن تشبيه الشيئ بالشيئ لايلزم أن يكون نظيره من جميع وجوهه، فإن المؤمن لايماثله شيئ من الجمادات، ولايعادله وكذلك لاتُماثله النخلة وغيرها في كلِّ شيئ، ذلك أن منافع المسلم أكثر منها[29].

وبعد ذكر بلاغة الحديث ننظر إلى التصوير القصصي في هذا الحديث وهو عندما عرض النبي ﷺ على الصحابة – رضي الله عنهم –سؤالاً عن شجرةٍ لايسقط ورقها، وذكر لهم بعض خصائصها التي تلتقي فيها صفات المسلم، لكي يحرك العقل والمشاعر، وينمي الذكاء في النفس، ويتنافس المتلقي مع غيره في المهارات العقلية، لتعميق التجارب الإنسانية في الحياة.

فابتعدوا جميعًا عن النخلة، ولم تتفق إجاباتهم مع صفات الشجرة المطلوبة، ورسول الله يتلقى الإجابات بصدر واسع وقلب مفتوح، ما عدا الراوي عبدالله بن عمر الذي خطر في باله أنها النخلةُ، فكاد أن ينطق ويعلن عما دار في عقله لكن حيائه منعه من أن يعلن ذلك، وحوله كبار الصحابة رضي الله عنهم. فهيبةً منهم وتوقيرًا لهم سكت عن الإجابة، والنبي ﷺ يطرح هذا السؤال بصفات أخرى، ويتلقى الإجابة غير الصحيحة، ثم يزيدهم بعض الصفات لها، حتى تكون أكثر وضوحًا كما ورد في رواية: " إنها لا ينقطع ثمرها ولا يُعدم نيله ولا يبطل قطعها".

وفي رواية ثانية: " لايسقط لها أبلمة –أي: خوصة – كما لا يسقط لمسلم دعوة"[30].

وفي رواية ثالثة: " إن من الشجر ما بركته كبركة المسلم" [31]فعجزوا، حتى قالوا: حدثنا عنها يارسول الله! فقال مجيبًا عن السؤال بعد هذا الحوار القصصيَّ الشيق، الذي اشتركت فيه الشخصيات القصصية المختلفة، قال ﷺ: "إنها النخلة"، لأنها كالمسلم ينتفع بجميع أجزائها المتنوعة كالثمرة والجريدة والليف والخوص والعرجون حتى النوى في علف الدواب، والظلال، لأن المسلم كله خير"[32].

وجه التشبيه في حديث النخلة

وعند الإمام القرطبي: " وجه الشبه أن أصل دين المسلم ثابت، وأنّ ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح والقلوب، وأنه لايزال مستوراً بدينه، وأنه ينتفع بكل ما صدر عنه حيًّا وميتًا"[33].

ووجْه تشبيهِ النخلة بالمسلم قائمٌ من جهات كثيرة، وذلك في أنها تُعدُّ أشرفَ الشجر وأعلاها مرتبة، وفي كثرة خيرها، ودوامِ ظلِّها، وطيب ثمرِها، ووجودِه على الدوام، فإنه من حين يطلُعُ ثمرُها لايزالُ يؤكل أنواعًا حتى يُجدَّ تَمْرًا ويُقطَع.

وإذا يَبِسَتْ النخلة يُتّخذُ منها منافعُ كثيرة، فخَشَبُها، وورقُها، وأغصانُها، تُستعملُ جُذوعاً وحطبًا وغيرَ ذلك. ثم آخِرُ شيئ يُنتَفَعُ به منها هو نواها، فإنه يُتّخذُ علفًا للإبلِ"[34]. أما جمالُ نباتِها وورقِها، وحسنُ

خِلْقَتها وثمرِها، وفارغُ طولِها وانبساقِها، ودوامُ خُضرة أوراقها، وتماسُكُ جِذْعها أن تلعبَ به الرياح والأعاصير، وكريمُ ظلّها وفيئِها، لمن كان في جزيرة العرب: فمنافعُ مشهودة، ومُتَعٌ متكاثرةً معروفة محمودة. وقد مدحَها الله في القرآن بآياتٍ كثيرة أيّما مدح.

وكذلك المسلم أوالمؤمن كلّه خيرٌ ونفع، وبركتُه عامة في جميع الأحوال، ونفعُه مستمرٌّ له ولغيره حتى بعد موته. فهو ذو عملٍ صالح، وقولٍ حسن، كثيرُ الطاعات على ألوانها ما بين صائم، ومُصلٍّ، وتالٍ للقرآن، وذاكرِ الله، ومذكّرٍ به، ومُتَصدّقٍ، وآمرٍ بالمعروف، وناهٍ عن المنكر.

يُخالطُ الناس ويصبرُ على أذاهم، آلِفٌ مألوف، ينفعُ ولايضرُّ، جميلُ المظهر والمخبَر، مَكارمُ أخلاقِه مبذولة للناس، يُعطي ولا يَمنع، وتجِدُ فيه رُسوخًا على الحق وثباتًا عليه.

عمله صاعدٌ إلى ربِّه بالقبول والرضوان، إنْ جالستَه نفعك، وإن شاركْتَهُ نفعك، وإن صاحبْتَه نفعك، وإن شاوَرْتَه نفعك، وكلُّ شأن من شؤونه مَنْفعة"[35].

وأما من قال: "إن وجه الشبه كون النخلة خلقت من فضل طينة آدم فلم يثبت الحديث بذلك"[36].

فوائد علمية في حديث النخلة

وفقه هذا الحديث أنّ رسول الله ﷺ ضرب هذا مثلاً يستنبط منه أنه يُرغّبُ الإنسان في ابتغاء الولد، فإنه من حيث القياس يشبه بالشجرة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها من ثمارها التي ينتفع بها الناس، وظلها الذي، يصد عنهم حر الشمس ويجدون روحه، وما يكون فيها من منافع – خوصها وجريدها – وغير ذلك؛ فإنها معرضة لأن تثمر ثمرة مشتملة على ما هو أصل لمثها؛ فلو قدر مقدر أنه قد غرس نوى ثمرة هذه النخلة غارس من وقت حملها إلى آخر بقائها؛ ثم غرس ما تثمره كل نخلة تنبت من ذلك النوى، وامتد ذلك إلى يوم القيامة، فإنه يعلم به قدر الثواب ابتغاء الولد الذي يولد له ثم يولد لولده وولد ولده، هكذا ما تناسلوا حتى تكون سُنّة الأمة العظيمة، فهذا معنى قوله: (شجرة مثلها مثل الرجل المسلم)[37].

ويقول ابن حجر: وأما من زعم أنه وجهه : كون النخلة إذا قطع رأسها ماتت أو أنها لاتحل حتى تلقح، أو أنها تموت إذا غرقت، أو أن لطلعها رائحة من الأدمي، أو أنها تعشق، أو أنها تشرب من أعلاها، فكلها ضعيفة؛ لأن كل ذلك مشترك في الآدميين لا يختص بالمسلم، ثم هذا الحديث لا ينافي حديث أبي داود: "أنه نهى عن الأغلوطات" [38]، أي: صعاب المسائل، فإن ذلك محمول على ما لا نفع فيه أو ما خرج على سبيل التعنت والتعجيز[39].

ويقول الشنقيطي: يعلم من هذا الحديث أن المؤمن لا ينقطع نفعه بالموت قطعًا[40].

ووقع في التفسير عند المصنف عن ابن عمر، قال: كنا عند النبي صلي الله عليه وسلم، فقال: "أخبروني بشجرة كالرجل المسلم لا يتحاتُّ ورقُها ولا، ولا، ولا" [41]. فذكر النفي ثلاث مرات على سبيل الاكتفاء، فقيل في تفسيره: ولا ينقطع ثمرها، ولا يعدم فيُؤها، ولا يبطل نفعها. قلت: انظر هذا النفي الصريح في أنها

لا يبطل نفعها، وهي مشبهة بالرجل المسلم –تعلم أن قول من قال: إن المؤمن الميت ينقطع نفعه بالموت زيغ وبهتان وافتراء[42].

ممّا يُستفاد من الحديث النِّقاط العلمية التالية

1: في هذا الحديث التحريض على الفهم في العلم، وقد بوّب له الإمام البخاري في "صحيحه" باب الفهم في العلم.

2: وفيه استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة، ولهذا تمنى عمر أن يكون ابنه لم يسكت، وقد بوّب عليه الإمام البخاري في العلم والأدب.

3: وفيه دليل على بركة النخلة، وما تثمره وقد بُوّب عليه في صحيح البخاري أيضًا.

4: ودليل على أن بيع الجُمّار جائز، لأن كل ما جاز أكله جاز بيعه، ولهذا بُوّب عليه في البيوع من صحيح البخاري.

5: وفيه دليل على جواز تجمير النخل، وقد بوّب عليه البخاري في الأطعمة لئلا يظن أن ذلك من باب إضاعة المال، وأورده في تفسير قوله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً}[43].

إشارة منه إلى أن المراد بالشجرة النخلة.

6: وفيه أنّ هذا الحديث ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسيخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة.

7: وفيه توقير الكبير، وتقديم الصغير أباه في القول، وأن لا يبادره بما فهمه، وإن ظن أنه الصواب.

8: وفيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه، لأن العلم مواهب، والله يؤتي فضله من يشاء.

9: وفيه الإشارة إلى حقارة الدنيا في عين عمر، لأنه قابل فهم ابنه لمسألة واحدة بحُمْر النَّعَم، مع عظم مقدارها وغلاء ثمنها[44].

10: وفيه أن لا يَنقطع عملُه حتى بعدَ موتِه، إذا نَظَر من حياتِه لآخِرتِه، واغتَنَم من يومِه لِغَدِه، يُنتَفَعُ بكل ما يَصْدُرُ عنه حَيّاً وميتاً، إذْ مَبْعَثُ تصرُّفاتِه كلِّها الإيمانُ بالله، والنفعُ لعبادِ الله، سبحان الله ما أعظَمَ المؤمن؟![45].

الخاتمة

في نهاية مطاف هذه الدّراسة المختصرة نحاول أن نشير إلى بعض النتائج المهمّة ما حصلنا من الحديث خلال البحث في نُقاطٍ تاليةٍ:

- نتعلّم من الحديث المذكور الترغيب في اختبار الذكاء والتفكير، وتحريك العقل بالألغاز لكي يظهر شخصية الرجل ويبرز رأيه ويظهر علم.

- ونحصل منه أيضا تقريب المعاني إلى العقل بالتصوير وضرب الأمثال.
- ونستفيد منه أهمية الحياء في حينٍ وتركه في حينٍ آخرٍ، وكذلك الترغيب في الحياء وتوقير الكبير، ومجالسة الرجل مع العلماء والكبار وذوي المنازل السامية.
- النخلة أفضل أنواع الشجر لقلة تكاليفها، وكثرة منافعها، وغزارة ثمرتها وطيبها.
- وكذلك نستفيد من الحديث أنّ المسلم كثير الفضائل والمنافع، فلا ينبغي له أن يقتصرَ في أمرٍ خيرٍ على نفسه، بل يجدر له أن يَتعداه إلى المسلمين وجميع الخلائق.
- ويُظهر منه أنّ العالم- صاحب الشان- أحيانا قد تخفى عليه بعض الأمور وتنكشف على العالم الذي أقصر درجَةً منه في العلم والمعرفة ويُدرك حقيقته، فثبت منه أنّ هذا – العلم- من فضل الله يُؤتيه من يَشاء.
- ونأخذ منه أيضاً أنّ الدنيا فانيَةٌ ليس لها الحقيقة، وإلاّ فما قابل عمر بن الخطاب فهم ابنه لمسألةٍ واحدةٍ بحُمُرِ النّعَمِ وهو عظيم المقدار وغالي الثّمن.
- والحديث يدل على أن لا يَنقطعَ عملُ الإنسان فيما بعد الموت وإنما يبقى له عمل الخير موصولا إلي يوم القيامة [46].

الهوامش والمصادر

[1] ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني)، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، سنن ابن ماجه ج 1-- ص81، وقال الألباني: صحيح.

[2] والمراد من المسلم-المكلف، وهو الرجل والمرأة كليهما، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي 4—287، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى 1415 هـ - 1994م.

[3] الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران) (المتوفى: 430هـ) المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، المحقق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1996م-وهذا الحديث الطويل منقول عن عائشة –رضي الله عنها-.

[4] الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك)، (المتوفى: 279هـ) سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروتسنة النشر: 1998 م- الحديث رُوي عن أبي الدرداء في بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ.

[5] البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، بَابٌ: روائه عثمان -خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصرالناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ.

[6] أبو غدة (عبد الفتاح) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ص 26، المكتبة الغفوريّة العاصمية، كراتشي باكستان، الطبعة: الأولى، 1423هـ.

[7] النيسابوري (مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري) (المتوفى: 261هـ) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، قَالَ:" بشِّروا ولا تُنفِّروا،ويَسِّرُوا ولا تُعسِّروا"- المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[8] ومثال الحديث الفعلي: عَنْ مُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَوَارَى عَنِّي، فَقَضَى حَاجَتَهُ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَأْمِيَّةٌ، فَذَهَبَ، لِيُخْرِجَ يَدَهُ مِنْ كُمِّهَا فَضَاقَتْ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ أَسْفَلِهَا، فَصَبَبْتُ عَلَيْهِ، فَتَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلاَةِ، وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ، ثُمَّ صَلَّى، صحيح البخاري 1:81.

[9] الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، ص 29.

[10] صحيح البخاري 1:38، والصحيح للإمام مسلم 2164—4.

[11] صحيح البخاري 1:22.

[12] صحيح البخاري 1:22.

[13] صحيح البخاري 1:25.

[14] صحيح البخاري 1:38.

[15] صحيح البخاري 3:78.

[16] صحيح البخاري 6:79.

[17] صحيح البخاري 7:80.

[18] صحيح البخاري 7:80.

[19] صحيح البخاري 8:29.

[20] صحيح البخاري 8:34.

[21] صحيح مسلم 4:6164.

[22] الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ، ص 2.

[23] صبح (علي علي)، التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية ص20—22، الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث.

[24] نفس المصدر.

[25] الحديث مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ- صحيح البخاري ومسلم.

[26] سورةالبقرة، رقم الآية: 275.

[27] علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،507-2، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م. والحديث رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

[28] التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية ص 34، 35

[29] الشنقيطي (محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني) (المتوفى: 1354هـ)-كوثَر المعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاريص 37-42 - 3، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة: الأولى، 1415 هـ - 1995 م.

[30] التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية، ص20—22.

[31] صحيح البخاري 7:80.

[32] التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية، ص20—22.

[33] السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين) (المتوفى: 911 هـ) التوشيح شرح الجامع الصحيح 1 –237،– المحقق: رضوان جامع رضوان،الناشر: مكتبة الرشد – الرياضالطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

[34] الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، ص29.

[35] الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، ص29.

[36] القسطلاني (أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين) (المتوفى: 923هـ) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ج1، ص158،الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصرالطبعة: 7، 1323هـ.

[37] الشيبانيّ، (يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي أبو المظفر، عون الدين) (المتوفى: 560هـ)الإفصاح عن معاني الصحاح،122 ___4، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الوطن.

[38] أبو داود (سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني) (المتوفى: 275هـ) سنن أبي داود 5-498 المحقق: شعَيب الأرنؤوط، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م.

[39] التوشيح شرح الجامع الصحيح 1- 237.

[40] كوثَر المِعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري، 3_37.

[41] الحميدي (محمد بن فتوح) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم،2-166، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - 1423هـ - 2002م.

[42] كوثَر المِعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري، 3-37.

[43] سورة إبراهيم: 24

[44] نفس المصدر 3 - 42.

[45] الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، ص29.

[46] التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، ص 25.